

السنة الثالثة وست مئة

فيها فارق وجه السبع الحاج، وقصد الشام، وكان في الحج العراقي جماعة من الأعيان، فبكوا وضجوا، وسألوه، فقال: مولاي أمير المؤمنين محسنٌ إليّ، وما أشكو إلا من الوزير ابن مهدي، فإنه يقصدني لقربي من مولاي، وما عن الروح عوض. وسار إلى الشام، ودخل الحاج بغداد وعليهم وخشة وكآبة، وأمر الخليفة أن لا يخرج الموكب إلى لقائهم، ولا يخرج إليهم أحد، وأدخل الكوس والعلم والمهد في الليل، وأقام الخليفة حزيناً أياماً، وأما وجه السبع فوصل إلى دمشق، فالتقاء العادل وأولاده، وخدموه، وأحسنوا إليه.

وفيها ولّى الخليفة عماد الدين أبا القاسم عبد الله ابن الدامعاني قضاء القضاة ببغداد.

وفيها قبض الخليفة على عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر [الذي أحرقت كتبه في الرحبة]^(١) فاستأصله، وأصبح يطلب من الناس، [وكان قد بلغه فسقه وفجوره]^(١).

وفيها قدم البُرْهان محمد بن عمر بن مازة البخاري، ويلقب بصدرجهان حاجاً إلى بغداد، وتلقاه جميع من ببغداد ما عدا الخليفة [والوزير]^(١)، وأنزل في دار زبيدة على نهر عيسى، وحملت إليه الإقامات والضیافات، وكان معه ثلاث مئة من الفقهاء والمتفهمة.

وفيها نزلت الفرنج على حمص، وكان الظاهر قد بعث المبارز يوسف بن حُطْلُخ الحلبي إليها نجدةً لأسد الدين، وأسر في هذه المرة الصمصام بن العلائي؛ خادم صاحب حمص.

قال المصنّف رحمه الله: وفيها فارقت دمشق قاصداً حلب، وجلست بقاسيون، وودعت الناس، فلم يتخلف بدمشق إلا اليسير، وامتلاً جامع الجبل بالناس، [فصاحوا علينا من الشبايبك التي بالإيوان: لا، لا. يعني قوموا، فاخرجوا،]^(١) فخرجنا إلى

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

المُصَلِّي، وكان [شيخنا]^(١) تاج الدين الكِنْدِي حاضراً، [فلما خرج من الباب زحموه، فانكشف رأسه، ووقعت عمامته، فعز عليّ، وسألته وأقسمت عليه أن يمضي إلى دمشق، فامتنع، وقال: لا والله حتى نتمم المجلس]^(١). وتاب في ذلك اليوم زيادة على خمس مئة شاب، وقطعوا شعورهم، وجرى كلامٌ في المغناطيس [وأنه يعشق الحديد، ثم قلت:]^(١) والعُبَّازِي يعشق الشمس، ولهذا كلَّمَا مالت الشمس إلى جهةٍ مال العُبَّازِي إليها. فصاح سيفُ الدِّين بنُ تميرك، وكان حاضراً: يا مولاي شمس الدِّين، كلنا اليوم حُبَّازِي.

وحجَّ بالنَّاس مجاهد الدين ياقوت، [وهي أول حجة حجَّها، وحج]^(١) صدرجهان، ووصلت حلب في ذي الحجَّة، واجتمعت بمسعود ابن أبي الفضل أبي الفتح النَّقَّاش الحلبي الشَّاعر تاج الدين، وأنشدني مُقَطَّعات من شعره: [وكتبها لي بخطه، ومولده]^(١) سنة أربعين وخمس مئة، فمن ذلك: [من السريع]

مالي سوى حُبِّكُمْ مَذْهَبُ	ولا إلى غَيْرِكُمْ مَذْهَبُ
بددتم شملي فيا هل ترى	يجمعني يوماً بكم مذهب
وساخ دمعي في هواكم دماً	فصرت فيكم مثلاً يضرب
أبكي وأنتم نُضِبَ عيني كما	يغص بالماء الذي يشرب
وأعشق التعذيب في حبكم	ومن عذاب النفس ما يَعْدُبُ
ناشدتُك الله نسيماً الضِّبَا	من أين هذا النَّفْسُ الطَّيِّبُ
أأودعتُ برداك وقت الضُّحى	مكان أَلقت عِقْدَها زِينُ
أم ناسمتُ رِيَّاك روضَ الجَمَى	وذيلُها من فَوْقه يُسْحَبُ
فهاه أتحنفني بأخبارها	فَعَهْدُك اليومَ بها أَقْرَبُ
أحباب قلبي ليس من جوركم	إلا إلى عدلكم المهرب
وهبتكم روعي فمن ذا الذي	عاين روحاً قبلها توهب
وعدت أسعى في نجاتي بها	ما كل رأي المرء يُسْتَضَوَّبُ
وأنشدني أيضاً: [من السريع]	

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

فَعَلَّمُونِي كَيْفَ أَرْضِيكُمْ
يَشْقَى وَقَدْ أَصْبَحَ يَا وَيْكُمْ
بَقَثَلَتِي فِي الْحُبِّ يُفْتِيكُمْ
بَقَتَّ أَكْبَادٍ مُجَبِّكُمْ
وَاسْتَحَسَنْتَ غَيْرَ مَعَانِيكُمْ
إِنْ حَدَّثْتَنِي بِتَسَلِّيكُمْ
عِنْدِي وَمَا أَحَلَّى تَجَنِّيكُمْ
عَلَى مَلَالٍ وَجَفَا فِيكُمْ
فَاللَّهُ مِمَّا بِي يُعَافِيكُمْ
طَوَلَ نُوَاحِي فِي نَوَاحِيكُمْ
طِيبَ مَكَانٍ بَاتَ يَحْوِيكُمْ
أَوْ رَاحَ بِالرُّوحِ يُوَاسِيكُمْ
عَلَى دَجَى اللَّيْلِ بِدَاجِيكُمْ
أَفْهَ مَعَ الضَّرِّ بِحَبِّيكُمْ
مَرَّتْ بَوَادِيهِ بِوَادِيكُمْ
رَوَّاحَهَا قَبْلَ تَغَادِيكُمْ
مَاتِيكُمْ أَوْفَقَ هَاتِيكُمْ

لِلرَّكْبِ أَنْ بَشَّرَنِي بِهِنَّ
أَنْشُدُ قَلْبِي بَيْنَ عَيْسِهِنَّ
لَبَيْنِهِنَّ وَأَرْخُوا الْأَعِنَّةَ
بِمَظْلَعِ الشُّهْبِ مِنَ الْأَسِنَّةِ
أَحَدْتَهُ طِيبُ حَدِيثِهِنَّ
بَيْنَ فَرْفَقًا بِقَتِيلِكِنَّ
تَحَسَّبُهَا الْأَقْمَارَ فِي الدُّجْنَةِ

أَصْلُ تِلَافِي مِنْ تِلَافِيكُمْ
قَلَّبْتُمْ قَلْبِي وَمَا خَلْتَهُ
أَحْبَابَنَا مَنْ ذَا الظَّلُومِ الَّذِي
وَأَيُّ خَلْقِ اللَّهِ يَرْضَى لَكُمْ
كَمْ مُنِعَتْ عَيْنِي بِكُمْ إِنْ رَأَتْ
وَلَا اسْتَفْتِ رُوحِي بِلُفْيَاكُمْ
وَيَلَاهُ مَا أَعَذَّبَ تَغْذِيْبَكُمْ
وَمَا أَلَذَّ الْمَوْتِ فِي قُرْبِكُمْ
أَمْرَضْتُمُونِي بِمَضِيضِ الْقَلْبِي
وَنَمْتُمْ عَنْ سَهْرِي فَارْحَمُوا
طُوبَى لِعَيْنٍ عَايَنْتُكُمْ وَيَا
وَهْدِي مَنْ قَدْ ضَلَّ فِي حُبِّكُمْ
أَطْلُتُمْ لَيْلِي فَوَاحِشْرَتِي
وَبَحْتُمْ عَمْدًا بِقَتْلِي وَلَمْ
وَرُبَّ سَرْبٍ مِنْ ظِبَاءِ الْجَمَى
قَبَضْتُ مِنْ خُرْدِهِ دَمِيَّةً
فَطَوَّلُوا فِي الْعَذْلِ أَوْ قَصَرُوا

ومن ذلك : [الرجز]

أَيُّ يَدٍ عِنْدِي وَأَيُّ مِئْتَهُ
صَاحُوا الرَّحِيلَ فَظَلِلْتُ وَالْهَاءُ
كَأَنِّي بِالْحَيِّ قَدْ شَدُّوا الْعُرَى
وَمَا سَمِعْتُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحَلُوا
يَا حَادِي الْأَظْعَانِ رَبِّ فَرِحِ
فَاسْلَمْ وَقُلْ لِلرَّاحِلِينَ إِنْ يَكُنْ
فَشَرَّعَتْ تِلْكَ الشُّجُوفُ عَنْ مَهَا

البرق لآلاء نورهنَّه
 بالمِسْك من رَدَع نُهودهنَّه
 شَمَمَتَ أنفاسَ ثمارِ الجنَّه
 أنَّ الخُدُورَ للمَها مَظنَّه
 يومَ النوى أنَّ فقلتُ إنَّه
 من نَعْرِها دُرُّ عقودهنَّه

إلا لتعذيبٍ مُعَنَّاهُمُ
 يوماً ولا الحُسْنُ تعدَّاهُمُ
 وَحَبِّذا نَفْحَةً رِيَّاهُمُ
 بِحَلِيهِ لَبِي فَلَبَّاهُمُ
 أَمَسَيْتُ لا أَعشِقُ إلا هُمُ
 فَكَّرَ فِيهِمْ وَتَمَنَّاهُمُ
 وَفِي صَمِيمِ القَلبِ ما وَاهُمُ
 عَلِمْتُ أَنِي بَعْضُ قَتْلَاهُمُ
 رَأَهُمْ هَامَ بِمَرَأَهُمُ
 أَظُنُّ كُلَّ الخَلْقِ يَهوَاهُمُ
 أَقولُ عَلَيَّ اليَوْمَ أَلقَاهُمُ
 تَحَقَّقُوا وَجَدِي لأَبْكَاهُمُ
 خَوْفَ تِلَافِي أَتَلَفَاهُمُ
 وَحُسْنُ ظَنِّي يَتَرَجَّاهُمُ
 بِهِمْ وَقَدْ أَصْبَحْتُ أَشْقَاهُمُ
 عَهْدِي وَأَحْيَا عِنْدَ ذِكْرَاهُمُ
 أَبْعَدَهُمْ عَنِّي فَأَغْنَاهُمُ
 فَلَسْتُ مِمَّنْ يَتَناسَاهُمُ

مبتسماتٍ والربا من
 والجوُّ مُعْتَلُّ النَسِيمِ أَرَجُ
 وبينهن مَنْ إذا تَحَدَّثْتُ
 وما علمت إن هي تطلعت
 قالت حزين إن يَبِينُ أَلْفُهُ
 فابتسمت فبان لي مُسْتَرِقاً
 ومن ذلك: [من السريع]

ما عَذَّبْتُ مِدْحَةَ مَعْنَاهُمُ
 فاقوا فلا الإحسانُ يَزُرِّي بِهِمْ
 يا حَبِّذا رُؤْيَاهُمُ المَشْتَهَاةُ
 وَحَبِّذا فَرَطُ الجَمالِ الَّذِي
 أَصْبَحْتُ لا أَهوى سِوَاهُمُ كما
 أَغارُ مِنْ قَلْبِي عَلَيْهِمْ إذا
 يا عَجِباً لي كَيْفَ أَشْتاقُهُمْ
 ووأحيائي من حياتي وقد
 يا لَيْتَ شِعْري هَكَذا كُلِّ مَنْ
 أَمِ مِنْ غَرامي وَجُنونِي بِهِمْ
 أَمْرٌ مِنْ وَجْدِي بأَبوابِهِمْ
 أَضاحِكُ الشُّماتِ خَوْفاً ولو
 واحزناً كم أَتَلْظِي وَكم
 وَكَمْ أَذوقُ الصَّبْرَ مِنْ يَأْسِهِمْ
 كَنتُ أرى أَسْعَدَ هَذا الوَرى
 أَموتُ مِنْ خَوْفِ تَناسِيهِمْ
 أَفَقَرَنِي الحُبُّ إِلَيْهِمْ كما
 فَإِنْ تَناسَوْا مَللاً مَوْقِفِي

ومن ذلك : [من الوافر]

سقاك الله رياً دار رياً
فما أنا من يُغَيِّرُنِي جَفَاكُمْ
وفي المتغيّبات عليّ شمس
محجبة حمتني الغمض لما
طمعت بأن أعيش لها سعيداً
أيا لله قاسية طوّثني
شكوت إلى جفاها جرح قلبي
وأودع سُقْمَ جفنيها فؤادي
وها أنا بين جفوتها وحثفي
أنادي سلوتي فيجيبُ وجددي
هداك الله يا نشر الحزامي
وزادك من عوارفه فإنني
ومن ذلك، وهي منها :

وبين طُبي وجيرة أم خشف
يطاوع في عذابي مُقَلَّتِيهَا
وأعشقتها فإن رُشداً فرُشداً
هوى لم يهو أيسره جميل
وليلة أقبلت كالبدر نشوى
أعانقها ومسك ذوابتيها
وأزبع في شقائق وجنتيها
ويذكرني جنى التفاح غصاً
ومن ذلك : [من الكامل]

وحياً عن غرامي فيك حياً
فأنفض من محبتكم يدياً
تُغَيِّرُ بِدُرِّ قُرْطِيهَا الثُرياً
نصبت لصدّها شبك الحمياً
أقاسمها الحياة فما تهياً
بنشر سريرتي في الحب طياً
ليرحمني فزاد الجرح كياً
وبالغ فيّ حتى صرت فياً
كذا والحثف أيسر حالتياً
لقد أسمعت لونا ديت حياً
وأهدى طيب ما تُهدى إلياً
شممت لعرف رياً فيك رياً

تمرّض موعدي مظللاً ولياً
وأعصي في هواها عاذلياً
وإن غياً كما زعموا فعياً
بئسنته ولا غيلان مياً
فليتك كنت تُبصرنا أحياناً
يعانقني^(١) فالتثم المحياً
فتحدّث لي حدائق جنّتياً
فأقطف منهما تفاحتياً

(١) في (ح) سقط، ولعل ما أثبتناه من عندنا لا ياباه البيت.

ألا أبارح بَعْدَهُمْ بُرْحَائِي
يزدادُ طَوْلُ تَأْسُفِي وَعَنَائِي
ثم انثنيْتُ مَخْلَفًا بِدَمَائِي
وكذا تَكُونُ مَدَامِعُ الْغُرْبَاءِ
فَارَقْتُ طَيْبَ نَعِيمِهَا لِشِقَائِي
حسنًا وتمسي بَدْرَ كُلِّ مَسَاءِ
واليوم لا تصغي إلي شَفَعَائِي
فقطعتِ مِنْهَا بِالْفِرَاقِ رَجَائِي

ومن ذلك يمدح الملك الأمجد صاحب بعلبك: [من السريع]

موتزر من حُسْنِهِ مُرْتَدِ
نُقْطَةَ نَدْفٍ فَوْقَ وَرْدِ نَدِي
إلا وأنسى قَمَرَ الْأَسْعُدِ
كنتُ بمرأى وَجْهِهِ أَهْتَدِي
مِنْ ثَغْرِهِ نَارِي وَلَمْ تَبْرُدِ
بريقه تَيْهًا عَلَى عُودِي
بِمِثْلِهَا الْهَادِي وَلَا الْمُهْتَدِي
مُوسِدًا يُشْرِقُ مِنْهُ النَّدِي
ريانة تَأْرُجُ فِي مَرْقَدِي
بما جنت غُلَّةَ قَلْبِي الصَّيْدِي
مِنْ وَجْهِهِ شَمْسَ صَبَاحِ الْعَدِي
يُنَادِمِ الْبَدْرَ وَلَمْ يُحْسَدِ
قال أتَهْوَى قَاتِلًا لَا يَدِي
خَلَعْتُ سُلُوانِي عَلَى عُودِي
وَأَخْرَجْتُ الْفُوزَ بِهِ عَن يَدِي
لا وحيَاةِ الْمَلِكِ الْأَمْجَدِ

حَلَفَ الْغَرَامُ عَلَيَّ يَوْمَ فِرَاقِهِمْ
فَبَقَدْرٍ مَا يَزْدَادُ قَرُطَ جَمَالِهِمْ
ولقد وَقَفْتُ مُبَلَّلًا بِمَدَامِعِي
أَذْكِي بِسُحْبِ مَدَامِعِي جَمْرَ الْحَشَا
وَسَرَوْا فَأَمَّ الْجُورُ مِنْهُمْ جَنَّةَ
زَهْرَاءِ تُضْبِحُ شَمْسَ كُلِّ صَبِيحَةٍ
رحلتُ وَكُنْتُ شَفِيعَ غَيْرِي عِنْدَهَا
يا وَقْفَةَ التَّوْدِيعِ كَيْفَ عَدَّرْتِ بِي

زارَ وَطَرَفُ النُّجْمِ لَمْ يَرْقُدِ
أَحْوَرُ يَحْكِي الْخَالَ فِي خَدِّهِ
يا حُسْنَهُ مِنْ زَائِرٍ مَا بَدَا
ويا ضَلَالِي فِيهِ مِنْ بَعْدَمَا
أطفأ لثْمَ الْبَرْدِ الْمُشْتَهَى
وجادلي بالكأسِ مَمزُوجَةً
فيآلها من لَيْلَةٍ لَمْ يَفْزُ
أدنت لي البدر إلى أن غفا
أحويه في صَدْرِي كَرِيحَانَةٍ
وَأَخَذَ الصَّهْبَاءَ مِنْ رَيْقِهِ
إذْ أَجْتَلِي فِي لَيْلِ أَصْدَاغِهِ
وعاذلي عَنَّفَ فِيهِ وَمَنْ
ظَنَّ خِلاصِي فِي يَدِي فاعْتَدِي
فقلتُ لا تَرْجُ سُلُويَ فَقَدِ
أأهجر العَيْشَ بِهَجْرِي لَهُ
وأنثني عنه إلى غيرهِ

وقال: اشتريْتُ من دمشق فاكهةً بأربعين درهماً، وقوسين بأربعين درهماً، وقصدتُ شَيْرَ، فنزلت بخانٍ في الرَّبَضِ، وأخبر مسعودٌ صاحبها بي، فاستدعاني فدخلت عليه، وقدمتُ له الهدية، وأنشدته أبياتاً غَزَلاً ومديحاً، فلما أنهيتها أخرج من تحت طرأحته خمسة دراهم، وقال: أنفقُ هذه عليك هذه الليلة، فطبخنا مريض. فنزلتُ إلى الخان، فلما كان صبيحة ذلك اليوم جاءني أستاذ داره، وقال: الأمير يُسَلِّمُ عليك، ويقول لك: كم ثمن الفاكهة والقوسين؟ فقلتُ: معاذ الله أن أذكر ثمناً، وإنما أهديتها للأمير. فقال: لا بُدَّ. فقلتُ: اشتريتها من دمشق بثمانين درهماً، واكتريْتُ لها ولي بغلاً بعشرين درهماً. فمضى وعاد معه مئة درهم، وقال: هو يعتذر إليك، وما في الخزانة شيءٌ. فامتعتُ مِنْ أَخْذِهَا، وخرجتُ من شَيْرَ ولم أبت بها، وقلتُ: [من السريع]

ما أليقَ النَّحسِ بمسعودكُمُ على الورى يا ساكني شَيْرَ
فيا ملوكَ الأرضِ هُمُوا به فإنَّه والله شيءٌ زَرِي
[قلت: عهدي بالنقاش في سنة ثمان وست مئة في الحياة، وقدم دمشق في سنة تسع وست مئة،] ^(١) وأنشد الجماعة قِطْعاً من قصائده [، وأفادهم من فرائد فوائده، إلا أنه كان باطنه كالزناد الوقاد، وظاهره كالجليد والجُمام، ومن رآه نسبه إلى البلاهة وعدم الذكاء والفقاهة،] ^(٢) فإذا أنشد تساقط من ألفاظه مِثْلُ الجُمانِ، وقد شاهدتهُ، وليس الخبر كالعيان، ولم أقف على تاريخ وفاته.

وفيها توفي

إسماعيل بن علي ^(٣)

الحظيري، ومن شعره: [من السريع]
لا عالمٌ يبقَى ولا جاهِلٌ ولا نَسِيَةٌ لا ولا خامِلٌ
على سبيلٍ مَهْيَعٍ لا حِبٍ يُودي أخو اليَقْظَةِ والغافلُ

(١) في (ج): قال المصنف رحمه الله: قدم النقاش سنة تسع وست مئة دمشق، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).
(٢) في (ج): وأنشد الجماعة مقطوعاً من قصائده، وكان باطنه كالزناد الوقاد، وظاهره كالجليد الجمام، فإذا أنشد...، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «معجم الأدباء»: ٢٣-٢٤ / ٧، و«المذيل على الروضتين»: ١ / ١٨٠، وفيه تمة مصادر ترجمته.

عبد الرزّاق بن الشيخ عبد القادر، الجبلي^(١)

كان زاهداً، عابداً، ورعاً، مقتنعاً من الدنيا باليسير، صالحاً، ثقةً، لم يدخل فيما دخل فيه غيره من إخوته، ولد سنة ثمانٍ وعشرين وخمس مئة، وكانت وفاته في شوال، ودفن بباب حرب.

عبد الرحمن بن الحسين بن عبد الله أبو منصور^(٢)

التُّعماني، النُّبيلي، القاضي شريح، يسمّى بذلك لذكائه وفطنته. ولي قضاء النيل مُدَّة، ثم قَدِمَ بغداد، فُنْدِبَ إلى المراتب الكبار، فلم يدخل في شيءٍ منها، فرمى طاشتيكين [أمير الحج]^(٣) نفسه عليه، وسأله أن يكتب له، فاستحيا منه، وكتب له، فأقام عنده مُدَّةَ عشرين سنة، فقصدته الوزير ابن مهدي حسداً له لفضله. وكان فاضلاً، مترسلاً، بليغاً، جواداً، سمحاً، حسنَ الصُّورة، فصيحَ اللسان، متواضعاً، لطيفاً، يضلُّحُ للوزارة، فلبسَ على الخليفة في أمره، فحبسه في دار طاشتيكين بدار الخليفة، ولم يقدر طاشتيكين على الكلام فيه، [ومات طاشتيكين وهو محبوس]^(٣)، وتوفي في ربيع الأول، فأخرج من دار طاشتيكين ميتاً، فدفن بداره في القبيبات، ومن العجائب أن ابن مهدي نُكِبَ بعد وفاته، وحُبِسَ بدار طاشتيكين أيضاً، ومات بها. جاءت القاضي رقعةً من ناظرٍ واسط، فكتب إليه: وصلتُ المكاتبَةَ الكريمةَ، والمخاطبَةَ الوسيمَةَ، فحلَّت من العبد محلَّ الدُّرياق من السَّليم، والبرِّء من السَّقِيم، مفصحةً عن سلامة قاطبة لا استقلتُ، وسعادة وافية لا اضمحلَّت، بمعاني تشرق فصاحتُها، وبلاغة تروق عبارتها، ولما سرَّحتُ النَّاظِر في رَوْضها الأنيق النَّاضر، تيقنْتُ مسالمةَ الدَّهرِ لمولانا ذي المفآخر والمآثر، وجعلتُ عَوْضها السعي على الناظر إلى خِدْمَة مولاي النَّاصر، وذكر رسالةً طويلة، ورسائله مدوَّنة في مجلدين.

(١) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١١٦-١١٧/٢، و«المذيل على الروضتين»: ١٨٠-١٨١/١، و«مشيخة النعال»: ١٤٣-١٤٤، و«سير أعلام النبلاء»: ٤٢٦-٤٢٨/٢١، وفي «المذيل» تنمة مصادر ترجمته.
(٢) له ترجمة في «التكملة» للمنذري: ١١٣/٢، و«المذيل على الروضتين»: ١٨١-١٨٢/١، و«توضيح المشتبه»: ٦٨٧/١، وفي «المذيل» تنمة مصادر ترجمته.
(٣) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

[وقد رأيت القاضي شريحاً، وكان ألطف العالم وأذكاهم]^(١).

أبو القاسم ابن المقرئ، حاجب الديوان

كان شاباً حسناً، يعاشر ابن الأمير أصبه شاباً جميلاً، جلسا يوماً، فداعب ابن المقرئ ابن أصبه، فرماه بسكينٍ صغيرة، ف وقعت في فؤاده، فقتلته، فسَلَّم الخليفةُ ابن المقرئ إلى أولاد أصبه، فلما خرجوا به ليقتلوه، أنشد: [من الوافر]

قَدِمْتُ عَلَى الإلهِ بِغَيْرِ زَادٍ مِنْ الأَعْمَالِ بِلِ قَلْبِ سَلِيمِ
وَسَوْءِ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدَّ زَاداً إِذَا كَانَ القُدُومُ عَلَى كَرِيمِ
فقتلوه، رحمه الله تعالى.

السنة الرَّابِعة وست مئة

فيها ولي [خالي أبو محمد]^(١) محيي الدين يوسف ابن الجوزي الحسبة بجانبى بغداد. ودرَّس الكمال عبد الرَّحيم بن محمد الواسطي بمدرسة أم الخليفة مكان الفارقي. وقَدِمَ الحاجُّ من مكة في صفر، وحكوا ما لقوا من صدرجهان وشِدَّة العطش، وأن غُلَّمانه كانوا يسبقون النَّاس إلى المناهل، فيأخذون الماء، فيرشُّون به حول خيمته، ويسقون أحواضَ البُئْلِ على الجمال، وماتَ عطشاً أكثرُ النَّاس، وسَمُّوا هذه السنة سنة صدر جهنم، ولما وصل إلى بغداد لم يخرج أحدٌ للقائه، ولعنوه في وَجْهه، وسبُّوه في الأسواق، وكتبوا لعنته على المساجد والجوامع، وكان النَّساء يخرجن [صارخات]^(١)، منشرات الشُّعور، يَلْطُمْنَ على موتاهن، ويقلن: العنوا صَدْرَ جهنم. فسأل الوزير أن يأذن له في الرَّجوع إلى بلده، فخلع عليه جُبَّة وِعِمامة وطيْلَسان، وخرج من بغداد والنَّاس خلفه يسبُّونه، ولم يقدر أحدٌ على مَنعهم.

قال المصنف: وحججتُ [أنا]^(١) في هذه السنة، وهي الرابعة وست مئة، ورأيت من الموتى ما أذهلني، وخصوصاً في النقرة والغُسيِّلة، فإني رأيتُ فيهما ما يزيد على خمسة آلاف ميت، ومشينا ثلاثة أيام في الأموات.

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).